الثقافـــة
وترشيـد العولمة

بقلم د/ رئيـــس حسين

فللعولمة منظّروها وأنصارها أيضا وهم أقلية فاعلة ومؤثرة إقتصاديا وتقنيا وعسكريا، ولها كذلك مناهضوها وأعدؤها ومنتقدوها وهم يمثلون أقلية نشيطة ولكنها لاتملك من المقومات شيئا سوى تصميمها وعزمها للتصدي وإدانة هذه السيطرة الأحادية، وهذا التيار الإستغلالي الجارف حسب رأيها. وبين الطرفين توجد أغلبية ساحقة من سكان الأرض تمثل مالا يقل عن تسعة أعشار الإنسانية شرقا وغربا لاحول لها ولاقوة مكبلة بسلاسل الإعلام "الأفقي" والدعاية المركزة منشغلة في متاعبها القوتية اليومية حالها من سيّء إلى ما هو أسوأ، ولم ينج من هذه الطفرة الغامة الشاملة الجارفة، في أغلب الحالات لجل النشاطات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والسياسية أحد، مما يدفع برجال الفكر المتتبعين لهذه الطفرة الخارقة في أرجاء المعمورة أن يطلقوا على عصرنا هذا؛ "عصر النظام العالمي الجديد" وفي مصطلح اشمل هو العولمة. وإن كان منظروها وأنصارها وهو ما يمكننا نعتهم بالمستفدين منها، يبدون تصورا جديدا لتركيبة هذا العالم في مطلع القرن الحادي والعشرين وخصوصا بالدرجة الأولى إقتصاديا، ألا أن هذا المنال لن يتم أو لن يتحقق دون خلط

كل الأوراق أي دون إعادة تشكيل العقل والصيغ والمفاهيم واساليب التعامل ومفهوم التعاون، لينجر عن هذا كله تصور آخر للأشياء أحادي المصدر له أثر مباشر على البنى الفكرية في مختلف تركيباتها وصورها وأبعادها المستقبلية.

وهذه الظاهرة قد أدت اليوم ونحن نعيشها من قريب، أقول هذا بصفتي الشخصية كشاهد، أعيش هذه الظاهرة من قريب جدا وفي وكر من أوكارها الرئيسة، حيث نرقب تذبذب الإنسان في هذه الديار رغم عراقته ومخزونه الحضاري الذي يباهي به منذ قرون، وما حركة "جزي بوفاي" المزارع البسيط التي عمت العالم إلا أكبر دليل على خطورة هذه الظاهرة التي تستند على قوة رأسمال والأعمال لا غير. تذبذب الإنسان نتيجة هذا التحول السريع، المفاجئ والغريب في حياته اليومية. وهذا التحول تديره قوى في غالبيتها بعيدة كل البعد عنه ولاصلة لها إطلاقا ببيئته وثقافته ومعتقداته وحتى طبيعة أرضه.

وهنا أطرح السؤال التالي : ما هو مصير شعوب الأرض، أعني السواد الأعظم للبشرية؟

كما صنفتهم في بداية مداخلتي. هذه الأغلبية العظمى التي كانت بالأمس القريب جدا محل إعتبار وتقدير لما تملكه، على الأقل، من مخزون ثقافي وحضاري سايرها طيلة قرون خلت ولازالت إلى اليوم تعتز وتتمسك به. هذه الشعوب التي تمثل اليوم المليارات من البشر والتي كانت قد قدمت إسهامات كبيرة وقيمة لايمكن إنكارها وهي التي أدت بلاشك لانطلاق نهضة اليوم في كافة مجالات الحياة اليومية بما فيها التقدم التكنولوجي وسؤالي هل من

الإنصاف أو من الذكاء أن تهمش هذه الأغلبية ظنا منا بأنها سوف تقبل وبكل بساطة بالامر الواقع دون أن تحرك ساكنا، أي دون أن تناقش مصيرها المحتوم وأن تبدي وجهة نظرها على الأقل كشريك شرعي في العولمة، فدون ذلك ستكون العولمة مجرد ورقة جديدة للسيطرة الأمبريالية الغربية على مقومات شعوب الأرض المستضعفة لإبتزاز خيراتها. والأخطر والحالة هذه، وقد عرفنا نحن هنا خطط إستعمارية عديدة للوصول للهدف المقصود، والأخطر من ذلك هذه المرة هو محاولة تجريدها مما تبقى لها من إرث ثقافي وعقائدي وحضاري ظل يميزها ويساعدها على البقاء والحفاظ على الذات أو الهوية.

إنني آمل أن تأخذ هذه الندوة، أو هذا اللقاء مبادرات عملية حتى نضع أسسا ثابتة لفرض إسهام الثقافة العربية الإسلامية في ترقية وإدارة العولمة، حتى لانصبح بمقوماتنا الطبيعية وتاريخنا المجيد وحضارتنا الأصيلة والعريقة ونحن أزيد من مليار نسمة لاوزن لنا في عالم الغد، عالم العولمة الرأسمالية الأحادية الصليبية المتعصبة والمتصهينة.

من حق الشعب الجزائري المناظل أن يطمح في مستقبل أفضل وعدم العودة لسيطرة أجنبية مبتزة مثله مثل بقية الشعوب العربية الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تقع حتى الآن ولعلمي، إستشارته ولاحتى إخطاره من طرف هؤلاء السادة منظري ومنفذي العولمة بما يتفق وأهدافهم الإستغلالية والتوسعية القريبة والبعيدة المدى ! والغريب أن دعاة العولمة هذه هم أنفسهم دعاة الديموقراطية وحقوق الإنسان والمساواة والحرية والإخاء والعدالة... لقد إجتمعوا في قممهم وفي قلاع محصنة وممنوعة على الآخرين،

وقد تقرر فيما بينهم إرساء النظام الجديد دون إستشارة ممثلي تسعة اعشار الإنسانية على الاقل، والتجأوا لوسائل الإعلام والدعاية المقنّنة التي بحوزتهم، إضافة للإعلامية والأنترنات وحتى الهاتف النقال لتحويل العالم وبسرعة مذهلة لقرية يسكنها مستهلكون لما تنتجه صناعتهم المادية واختياراتهم الفكرية، إنهم قرروا وداخل نواديهم المغلقة إرساء هذا النظام الأحادي المخيف يشتى وسائل الترغيب والترهيب، وإن دعت الحاجة إلى استعمال قوتهم العسكرية، تحديا لكل الشرائع والقيم أو المبادئ طالما تغنوا بها فوق السطوح لتحقيق مآربهم على حساب الآخرين.

أقول؛ وإن إستمرت الأوضاع كما هي عليه اليوم في بدايتها فسوف لن تتعدى، أي العولمة واقع مخطط جديد –قديم للهيمنة على شعوب مستضعفة لإستنزاف ثرواتها كلية، والإبقاء عليها في تبعية مزرية لم تعرفها إبان التواجد الإستعماري المباشر وإن تغنى رواد العولمة ومناصروها وعملاؤها في البلدان العربية الإسلامية بفضائلها وفوائدها التي لاتحصى، ولن تحصى، لعدم توفرها أساسا في الواقع المعيش.

وهنا تكمن نوعية وجدية إنتفاضة رجال الفكر والمبادئ السامية في هذه المعمورة للتصدي للإدعاءات العولمية الكاذبة والسعي لتصحيح مسارها المنحرف نحو السيطرة.

إننا لاننكر بأن العولمة نصيبا يسيرا من الفوائد لامحالة. قلت لتصحيح مسار العولمة وذلك بالإصرار على المساهمة العملية في ترقيتها وإدارتها وترشيدها، إدارة على الشكل أمم متضامنة متساوية في الواجبات والحقوق

والفرص دون حق النقض "الفيتو" لأحد من اعضائها كبيرا أكان أم صغيرا غنيا أم فقيرا. إن هذه المساهمة يمكن أن تكون ثقافية وحضارية إن لم تتوفر الوسائل التقنية والمالية والصناعية المرجوة في الوقت الراهن.

والمقصود هنا هي الثقافة العربية الإسلامية بكل مكوناتها. وقبل أن اتناول جوانب من هذا الموضوع يجدر ذكر بعض الآراء لباحثين مسلمين أختصرها لإرتباطها الوثيق بالموضوع.

العولمة وأهم خصائصها :

للتعريف بالعولمة وبإختصار شديد اقتطف من مقالة حديثة للدكتور محمد السيد سليم مايلي : "مع نهاية نظام القطبية الثنائية العالمية سنة 1991 حدث تغيير جوهري في النظام العالمي إلى قطبية أحادية متمثلة في هيمنة تكتل الدول الرأسمالية الصناعية الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية كقطب منفرد وظهور الدول الجديدة في آسيا الوسطى وشرق أوربا، وشرق أوروبا، وكذلك في بزوغ الإتحاد الأوروبي كقوة إقتصادية دولية ودخوله في مشرعات إقليمية جديدة كما نشهد التحول نشهد التحول في الصعود الإقتصادي في الشرق الآسيوي {اليابان والصين والنمور الآسياوية} وفي ظهور مجموعة من المؤسسات العالمية والإقليمية الجديدة التي تنهض على مبدأ تحرير التجارة الدولية كمنظمة التجارة الدولية ومجلس التعاون الإقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادي وتجمع المحيط الهندي للتعاون الإقليمي وغيرها.

واليوم بدأ الخطاب السياسي للقوى الكبرى في إبراز العولمة كتحول للعالم إلى سوق وقرية عالمية واحدة تتنقل فيها عناصر الإنتاج دون قيود".

أما كيف الصمود في وجه هذا النمط من العولمة ومن ثم التعاون معها دون الإستسلام لفرضية التبعية. هنا يأتي دور الثقافة العربية الإسلامي في عالم متغير لهبة رؤوف عزت فيقول "هنا فعل مقصود وهو عولمة العالم على النموذج الغربي فيما يشبه الإجتياح، ووسط كل الإنكسارات التي يعاني منها العالم العربي الإسلامي، نجد أنه هو المرشح للصمود في وجه العولمة الراسمالية المعادية للإنسان والتاريخ، ومن هنا أهمية التفلسف في مواجهة العولمة؛ بمعنى إعمال العقل والدفاع عن العقل والنص الديني معا في تفاعلهما؛ لأنها سبيل نهضة العالم الغربي الإسلامي شريكا متكافئا وليس فقط موضوعا للإحتلال تاريخيا ثم للإجتياح حاليا. أي أن للعولمة جوانب مفاهيمية فكرية تمثل مساحات مهمة يجب تحريرها لاتقل في الحقيقة أهمية عن تحرير الأبنية الإقتصادية والسياسية".

وهنا، وإذ أتفق مع هذا المفكر المسلم، أريد أن أوضح وأؤكد على دور الثقافة العربية الإسلامية والتي هي المهددة والمقصودة قبل غيرها، وهي تعاني اليوم تحديات ومقاومة عنيفة حتى في عقر بيتها للأسف الشديد، مما يستوجب على كل مفكر مخلص لذاته ولحضارته أن ينتبه فأي بناء يجب أن يقام على أسس متينة، ومثله المجتمعات البشرية فإنها لن تبنى إلا إنطلاقا من ثقافتها وعقيدتها، وكل من يبرر إتخاذ حضارة الآخر ولغته سلاحا أو مكسبا وهو يهمل حضارته ولغته إنما يعمل عن وعي أو غير وعي على تأكيد تبعية هزيلة ومائعة. ويضيف المفكر ذاته حول العولمة فيقول : "إن ما حققته العولمة حتى الآن هو مزيد من التدهور في أوضاع الشعوب بما فيها قطاعات الفقراء في

الشعوب الغربية؛ فمثالب العولمة التي هي عين مثالب الحداثة الرأسمالية الغربية من فردانية وكآبة وتنميط واحتكارات إقتصادية وسياسية رأسمالية دون منافس أو معارض تحتاج- دون محاولة أو سعي من جانبها- للتوفيق أو المهادنة". وهنا أود أن أشير بأن حركة عالمية لمناهضة العولمة قد ولدت في "سيَاتل" بالولايات المتحدة الأمريكية زعيمة ما يسمّى من طرف واحد بـــ "العالم الحر" أو الليبرالي وهي المنشطة الأولى والمستفيدة من العولمة.

ولإعطاء فكرة عن هذه الفئة المناهضة والآخذة في الأهمية اقتطف هذه السطور للمفكر والكاتب الجديد ومعاناة فئات واسعة منه كان اندلاع حركة مناهضة العولمة الراسمالية التي لاتمثل الغالبية العظمى من سكان هذا الكوكب سوى الفقر والمهانة، والمرض والبطالة؛ فالأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادون فقرا بشكل غير مسبوق في التاريخ. وفي "سيَاتل" بالولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر 1991م كان الميلاد الرسمي للحركة، فهناك إجتمع آلاف من البشر ومن إتجاهات سياسية متعددة؛ إشتراكيين وفوضويين وشيوعيين وعمال نقابيين ومزارعين وجمعيات مسيحية ونشطاء من مختلف الحركات والأهداف ومدافعين عن البيئة وحقوق المرأة ومن حركة الحقوق المدنية السود ومن مناهضي العنصرية، للإحتجاج على إجتماع منظمة التجارة العالمية المنعقد هناك آنذاك. ومابدا للوهلة الأولى كاحتجاج رمزي تحول إلى مظاهرات حاشدة إستمر لعدة أيام وأدى لإلغاء اجتماع منظمة التجارة. واصبحت إجتماعات ومؤتمرات المنظمات المالية الدولية كصندوق النقل الدولي ومنظمة التجارة ومنتدى دافوس، بل والمؤتمرات والقمم السياسية

كالإتحاد الأوربي والدول الصناعية السبع {الثمانية فيما بعد} بؤرة لنشاط الحركة الناشئة وكابوسا لقيادات العولمة وقادة الدول الصناعية الكبرى. وقد تطورت اليوم لتصبح حركة ضد العولمة وضد الأمبريالية {الهيمنة الإستعمارية} في العراق وللتضامن مع الانتفاضة الفلسطينية ومع نضال الشعب الفلسطيني ضد الإحتلال الصهيوني."

في نفس السياق أود أن أنقل لكم وجهة نظر مفكر عربي آخر لأهمية بحثه والذي عنونه : مستقبل الإخلاق في ظل عولمة القرن الحادي والعشرين حيث يقول : "مما من شأنه أن يسهل علينا الإدلاء بتوقعاتنا لمستقبل الإخلاق في ظل عولمة القرن الحادي والعشرين، أن نلقي نظرة على تطور الأخلاقيات الأمريكية" وبعد أن يصف بإسهاب بداية تكوين المجتمع الأمريكي بعد الحرب الأهلية يصل إلى أن :"المجتمع اصبح قوامة التجار وأرباب الصناعة والمضاربون، يميزهم النشاط والطاقة والرغبة الفجة في إثبات الذات. الكل في عجلة من أمرهم، لا شاغل يشغلهم سوى الدولار وسبل تحصيل الثراء الطائل والعاجل، لايتمسكون بغير مبدأ المساواة في الفرص، وبغير شكل من اشكال الديمقراطية يوافق هواهم ويحقق مصالحهم." ويواصل الباحث هذا الوصف الدقيق لشعب من رواد العولمة فيضيف : "يتناولون الطعام في عجلة وهم وقوف، ويسرعون الخطو في الشوارع وكأنما يهرعون لإطفاء حريق، ويدسُّون أنوفهم بوقاحة في شؤون الغرباء ويميلون إلى استخدام العنف وإلى البلطجة في خلافاتهم..

في المدن بالأخص إجتمع الغنى الفاحش بالفقر المدقع، والقصور الرخامية بالأحياء العشوائية، وهنا إصطفت طوابير الجوعى امام المطاعم

الفاخرة، وتكونت حلقات من أناس لا أخلاق لهم ولاحياء يتعيشون على الجريمة ومختلف ضروب الفساد." ويواصل السيد حسين أحمد أمين وصفه الدقيق لهذا التدهور الأخلاقي للمجتمع الأمريكي في مطلع القرن الحادي والعشرين لربطه بالقوى الحاكمة والمسيطرة في أكبر دولة راسمالية بل زعيمة العالم الغربي بأسره ومهندسة العولمة فيقول : "رجال الأعمال واصحاب البنوك والشركات الصناعية والتجارية الكبرى كلهم على إستعداد لدفع أموال طائلة مقابل ما يقدم لهم من افضال، أو ما يحصلون عليه من إمتيازات أو إعفاءات أو ما توفر لهم من حماية. و لم يكن الثمن دائما في صورة رشوة صريحة، بل كثيرا ما تخفي وراء غقناع المساهمات السخية في الحملات الإنتخابية، والتعضيد السياسي، أو إشراك كبار رجال الدولة في الأرباح التجارية، أو تعيين أقربائهم أو عشيقاتهم في مراكز ذات رواتب عالية في هذه المؤسسة أو تلك.

وكانت نتيجة كل هذا هو أنه بعد أن كان كبار رجال المال والأعمال والتجار يصرون في البداية على حرية المشروع الخاص، والحيلولة دون تدخل الحكومة في شؤونه، أضحت لهم الآن هيمنة شبه كاملة على الحكومة مجرد لعبة وأداة في أيديهم وهنا أود أن أبدي ملاحظة بأن أغلبية الباحثين والمتتبعين للوضع السياسي والإجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية يشاركون حسين أحمد أمين وصفه الدقيق ومنهم من هو اشد قسوة في حكمه وأكثر تشاؤما لمستقبل عالم تسيطر عليه قوة أحادية عظمى بمثل هذه المواصفات على المستوين الرسمي والشعبي، رغم تقدمها التقني والعلمي والإقتصادي والصناعي

والقدرات العسكرية الخارقة. ثم اتساؤل عن ماهية الثقافة التي سيتبناها رواد وأنصار العولمة؟ أهي ثقافة الكوكاكولا والماكدونالد وأفلام الخلاعة والرعب وصحافة المال والأعمال وشريعة الإحتكار ومتعددة الجنسيات وكبار المؤسسات الصناعية والإعلامية والإتصال الالكتروني والأقمار الصناعية، ثم الصواريخ العابرة القارات وطائرات الأباشي والفنتوم والقنابل العنقودية؟ وأكتفي بهذا القدر لأعود لموضوع مداخلتي المتمثل في:"الثقافة وترشيد العولمة. إنني شخصيا اعتقد ضرورة الرجوع إلى مفهوم الأمة لتجنب التبعية التي تهدد كياناتنا أو التهميش في أسوأ الحالات، وحتى نكون جزاءا فاعلا في هذه العولمة رغم كثرة سلبياتها. فعالمية الإسلام هي في حد ذاتها ثقافة وعقيدة ونمط حياتي في كل المجالات قد نحافظ، إن أحسنا تنقيتها وترقيتها واتباعها، بفضلها على الذات الآخر بشكل مهين.

ترى بماذا تطالبنا العولمة نحن أبناء هذه الأمة العربية الإسلامية الكبرى ذات المخزون الحضاري والثقافي والديني العريق، والتي تعيش شعوبها فوق أراضٍ شاسعة ومعطاة بجل أنواع الخيرات؟. إنها تطالبنا بفتح أسواقنا بلا قيود لما تنتجه المصانع الكبرى والمزارع في الولايات المتحدة وحليفاتها الغربية على الخصوص، كما تصر على أن نتبنى نماذج عيشها في إستهلاكنا اليومي من مأكل ومشرب وملبس وتسلية وترفيه ليسهل تسويق هذه المنتجات. كل هذا حاصل –للأسف– وفي اغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية وخصوصا بالمدن الكبرى وبلدان عرفت الطفرة النفطية. واليوم وعلى ما يبدو فإن العولمة لم تكتف باستنزاف ثروات المستضعفين بل بدأت تستنكر عليهم عقيدتهم

الإسلامية السمحاء وثقافتهم العريقة، وفي عدة مناسبات ومحافل دولية استنكرت عليهم استعمال لغتهم العربية، لغة القرآن الكريم، لغة مئات الملايين الذين لم يعارضوا يوما إستعمال لغة الآخر للتعامل.

ولا أبالغ حين أقول بأن اللغة والثقافة الإسلامية تمثلان إلى جانب العلم والتربية السلاح الأنفع لصد هذه الهجمات الصليبية المقنعة، كما يمكن إستعمال نفس السلاح أيضا مع الآخر لإرساء حوار نزيه يوصلنا لتحقيق إستراتيجية ثقافية متجددة مع المحافظة على الأصالة والنوعية وذلك بين مختلف شعوب الأمة الإسلامية من جهة وبقية دول الجنوب من خلال إرساء حوار متواصل بين الحضارة الإسلامية بمشمولاتها والحضارات الأخرى في كبريات دول الجنوب الآسيوي والأفريقي والأمريكي اللاتيني وغيرها من الدول الراغبة في الحوار والتعاون النزيه. ومما يشجعنا على هذا التوجه، هو أن العولمة ماضية في مخططها لفرض ثقافة إستهلاك وقيم غربية ومقاومة كل ما يتعارض وقيم منظريها ودعاتها.

وحتى نبدأ فعلا بهذا التعاون أو قل الإنفتاح على بعضنا البعض، يجب علينا أن نرتب بيتنا؛ أن نرممه ونسد كل الثغرت التي باتت الرياح الغربية والمضرة تتسرب منها. بيتنا هو البيت الكبير الممتد الأطراف وأعني بيت الأمة الإسلامية جمعاء. فالمؤسسات الحالية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة المدن والعواصم الإسلامية والبنك الإسلامي وغيرها من المؤسسات الأخرى هي كلها لاتتعدى نقطة في محيط العلاقات التي يجب أن تربط هذه الأمة ذات المصير المشترك الواحد بسبب ركودها وتخلفها تساق بعصًا واحدة نحو

المجهول ! وعليه فإنني أشاطر رأي الدكتور محمد السيد سليم حول مستوى العلاقات بين الدول الإسلامية وقوى العولمة حين قال : "ليست من مصلحة العالم الإسلامي أن يدخل في صدام حضاري لا مع الغرب ولا مع أية كتلة دولية أخرى، فضلا عن أن هذا الصدام غير مرغوب أيضا لتعارضه مع الإسلام. ومن مصلحة العالم الإسلامي تفويت الفرصة على القوى المحافظة في الغرب والتي ما زالت مشحونة بذكريات الحروب الصليبية، ومدفوعة بدوافع الهيمنة التي تفتعل مواجهات مع العالم الإسلامي، ومن ثم تجيء الدعوة إلى حوار الحضارات الإسلامية والغربية والآسيوية بهدف الإتفاق على أسس للتعاون الحضاري والثقافي وإزالة أشكال سوء الفهم".

أراء وتطلعات

يمكنني أن أقول بأنه نظرا للظروف الدقيقة والحرجة التي نمر بها اليوم فإنه يستوجب علينا أن نفكر ونعمل في الوقت نفسه لترقية التعاون الثقافي بدءا بإصلاح وتطوير مناهجنا التعليمية في كل مراحلها المختلفة لتتفق ومضمون حضارتنا العربية الإسلامية الأصيلة.

-تنشيط تعاون وتبادل ثقافي بين كافة شعوب الأمة العربية الإسلامية ذلك أننا -للأسف- لازلنا نجهل الكثير عن بعضنا البعض وفي المجال ملقى كذلك على وسائل الإعلام حيث يمكن للفضائيات أن تلعب دورا أساسيا. لقد نجح بعضنا وبرز في ترجمة أفلام ومسلسلات تنتجها دول أمريكا اللاتينية وإعادة بثها على قنوات عربية رغم أن محتواها لا يمت بصلة لاحضارتنا ولا لواقعنا ولا لاسلوب الحياة الذي نحياه في أغلى البلدان الإسلامية. فلماذا لا تقوم هذه

المؤسسات العربية بالذات لتقل إنتاج ثقافي من باكستان وأندونسيا وماليزيا وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى وتقديمها للمتفرج العربي مع إمكانية ترجمة المسلسلات والأفلام العربية إلى اللغات الآسياوية أيضا للتقليل من وقع "العولمة الفكرية" والتي تستهدف إضعاف القيم وطمس الهويات الغير غربية بترويج صريح لثقافة إستهلاك أمريكية بالذات ومفاهيم غربية بصفة عامة. فالغرب بتبنيه للعولمة وأسلوبها الثقافي يستهدف وبالتدريج إعادة حضوره الإستعماري من جديد لامتصاص ما تبقى من خيرات شعوب عانت طيلة قرون خلت من تدخله وسيطرته واستغلاله المعهود.

إن التصدي لهذه المخاطر الداهمة يجب أن يبدأ بحماية أثمن ما تملكه الأمة من مخزون ثقافي وحضاري، ويحتم علينا أن نكثف مثل هذه اللقاءات الفكرية شريطة أن يهيأ لها مسبقا بجدية لتعطي بنتائجها للفكر وللإعلام المجال للنقاش والبحث البعيد عن التشنج والعاطفة والأستسلام للواقع المر.

نحن ننتمي لأمة كبرى مما النقاش فيه وقد تخلفنا عن الركب لأسباب يطول ذكرها. وإذا كانت أوضاعنا الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والصناعية والزراعية لتتيح لنا في الوقت الراهن المساهمة الفعالة في إدارة العوامة أو حتى التأثر على مسارها، فإن ثرواتنا المادية والثقافية ومخزوننا الحضاري العريق كل ذلك يتيح لنا إن أحكمنا تنقيته من الشوائب وتطويره واستعماله كأسمنت مسلح لرص صفوف الأمة في مواجهتها المصيرية للغزو المحتمل، والتصدي والثبات.

هناك آلاف المشاريع والمبادرات وبعضها في دواليب النسيان والأرشيفات يكسوها الغبار، تهدف كلها لترقية الثقافة العربية الإسلامية وإعطائها مكانتها المميزة ضمن الثقافات العالمية الكبرى وهي جديرة بهذه المكانة. إنني اقترح وعلى سبيل المثال فقط، بعث هيئة أو جمعية تتبناها جامعات جزائرية لتنشيط حركة التوأمة أو التآخي بين الجامعات والمؤسسات التعليمية المختلفة، ومركز الدراسات والبحث العلمي والمتاحف التي هي بمثابة مرآة تنعكس عليها صفحات من تاريخ أمتنا، للتعرف على بعضنا وتبادل المعلومات والخبرات في جل مجالات الثقافة والعلوم.

إن مسؤولية رجال الفكر والثقافة والإعلام اليوم لكبيرة جدا نأمل أن تكون في حجم آمال أجيالنا بمستقبل افضل. ولذا نرجُو أيضا منهم تبني إقتراح الدعوة لإنشاء مركز وطني لدى كل قطر للدراسات اللغوية والثقافية وعادات وتقاليد المجتمعات الإسلامية بتمويل من المؤسسات الإسلامية الكبرى ورجال الأعمال وأهل البر والإحسان ومساهمة الدول المعنية.

أما عن اللغات التي يجب تدريسها ونشرها فهي لغات الشرق الآسيوي للشعوب الإسلامية بالنسبة للبلاد العربية واللغة العربية بالنسبة للشعوب الإسلامية في بقية البلاد الإسلامية الأخرى.

وإنطلاقا من معرفة جيدة للغة الشريك المسلم الآخر يصبح من السهل رص صفوف الأمة وفرضها كشريك له وزنه الفاعل في إدارة العولمة والتصدي لأية محاولة لتذويب الشخصية أو تهميشها بفرض قيم حياتية غريبة عن مجتمعاتنا مناهضة ومتناقضة مع ثقافتنا وإنتمائنا.

إن هذا العمل ليس بالهين ولكنه ومتى توفرت النوايا الحسنة والعزائم الصادقة أصبح ممكنا إذ لكل مشروع مهما كانت أهميته بداية، ومن سار على الدرب بثبات وصل، وحذار أن نتلكأ فالأجيال المقبلة تحاسبنا حسابا عسيرا.

المراجع

1-مستقبل الأخلاق في ظل عولمة القرن الواحد والعشرين ملتقى قرطاج 2000 تونس، حسين أحمد أمين.

2-ثقافة العلومة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر 2002، برهان غليون--سمير أمين.

3-أتجاهات العلومة، المركز الثقافي العربي بيروت 2001، الدكتور سيد ولد أباه.

4-العولمة والمستقبل، الأهلية للنشر والتوزيع/العراق 2000 سيار الجميل.

5-العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-الأردن 2002، محمد بغدادي.

6-النظام العالمي الجديد، دار الفارس للنشر والتوزيع- الأردن 2001، مورفمر سيلرز.

عدة مقتطفات من مواقع الانترنيت.